اثر الصوت في توجيه الدلالة
- دراسة أسلوبية صوتية -

د. ساجدة عبدالكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

خلاصة البحث

بعد هذه الوقفة المتانية مع الصوت ودلالاته في القران الكريم ومن خلال بعض النماذج التي تيسرت للبحث يجدر بنا ان نضع خلاصة بحثنا.

–قد تجلى التلاؤم الصوتي بأشياء عدة– في القران–منها:

❖ فواصل الآيات او خواتيم السور وفي التكرار– سواء كان بتكرار الكلمات المفردة او الآيات– لما لذلك من أهمية بالغة في توجيه المعنى، وقد اقتصر البحث على دراسة بعض من تلك الألفاظ المفردة التي كان لها جرس خاص في رسم الصورة البلاغية –ونؤكد– (البعض) من تلك الالفاظ ذات الجرس الموسيقي الذي له فاعليته في النص القرآني.

❖ – تناول البحث (الفاصلة) في القران، وقد المحنا الى حقائق أرساها الباحثون على قاعدة صلبة من الاصطلاح بحيث لاتشبه بقرينه السجح او قافية الشعر، وقد اشرنا الى ذلك في محله.

❖ ومن اجل تمييز الفاصلة ومعرفتها صوتيا تتبعنا فواصل الآيات وضبطها في تنقلاتها عبر مسيرتها الايقاعية.

وبما ان الامثلة في القران الكريم (هائلة جداً) مما الزمنا انفسنا بتتبع الملامح الاكثر بروزاً في تنقلاتها تلك الفواصل متخذين انموذجاً هنا وانموذجاً هناك، اذ جمع القران بين لفظتين مختلفتين في حرف الفاصلة والوزن بالاف المرات، كما ظهر الوقف عند حرف واحد في الفاصلة وهو كثير، اما الوقف عند حرف معين للفاصلة في بعض السور، والانتقال منه للوقوف

عند حرف آخر للفاصلة حيث كان في سور معدودة، وقد أحصيناها كما اوردها الدكتور محمد حسين الصغير في كتابه... وكانت كل واحدة من تلك الوقفات لها نسق صوتي متجانس بصيغة هادفة، مما اضفت على الفاصلة جمالها المعهود وحسها الايقاعي الهادر، دون التطلع الى تعبير آخر.

- ❖ – وتطرق البحث – وهو يتحدث عن المستوى الصوتي – الى الفواصل الثنائية المقطع والفواصل الثلاثية المقطع، إذ بدا واضحاً جلياً ان اصوات الفاصلة جاءت مكملة لرسم الصورة الحسية الممهدة للدخول في الحدث المركزي.
- ❖ – ان مراعاة القران للانسجام الصوتي في ختام كل اية مع السياق التعبيري العام للسورة اخذ عدة صور:مرة يقدم كلمة ومرة يؤخرها عناية بالسياق، وربما يحذف شيئاً من الكلم رعاية للنسق القراني او يضيف شيئاً رعاية للبعد الصوتي، ولغرض الانسجام، واحياناً يبدل كلمة بكلمة اخرى فيجعل في نهاية كل ايةماينسجم موسيقياً مع اخواتها.

- يتجلى التكرار في إفهام المعنى، فضلا عما يثيره الجانب الصوتي الناتج عن التكرار في الاذهان من ادراك معنى الكلام ومغزاه، ولما كانت المعاني اوسع مدىً من الالفاظ احتيج الى التكرار لاستيفاء تلك المعاني.
- ومن خلال مظاهر الدلالات الصوتية في القران الكريم والتي تحققها الالفاظ مفردةً حيناً ومجتمعةً مع مثيلاتها من الكلمات حيناً اخر؛ جاء:

أ. الالفاظ الدالة على الفزع، وقد درسنا نماذج من الالفاظ التي استعملها القران ثم اختيارها صوتياً بما يتناسب مع اصدائها في السمع او النفس، مما استوحيت دلالتها من جنس صياغتها، فكانت دالة على ذاتها بداتها في الفزع.

ب. مدّ الصوت واشباعه(استطالته) إذ كشف البحث عن مقاطع صوتية مغرقة في الطول والمدّ والتشديد رغم ندرة صيغة هذ المركبات الصوتية في اللغة، ونجد القران يستعمل افخمها لفظاً، واعظمها وقعاً، فيستلهم من دلالتها صوتياً مدى شدتها وهدّتها واستيحائا لنا بالتدبر والتفكير.

ج. الالفاظ المفردة ذات الصيغة الصوتية الواحدة، وهي ظاهرة جديرة بالعناية لتسمية الكائن الواحد باسماء متعددة ذات صيغة صوتية متجانسة تدلل على المضمون وتوحي له. ومنه تسمية القيامة بأسماء عدة متقاربة في الإبعاد.

ء. والألفاظ الدالة على الأصوات، وقد برزت تلك الظاهرة في القران بشكلٍ مطرد بكون اللفظ يدل على الصوت. بحيث يستخرج الصوت من الكلمة، وتؤخذ الكلمة من الصوت وبذلك بلغ التعبير القراني مستوىٍ فريداً في رسم الصورة وخلق عوامل التاثير لها.

المقدمة

والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد (ﷺ) :

أما بعد:

(القرآن) كتابُ الله العظيم ومعجزة نبينا وهو كتاب امة، إذ تستمد اللغة العربية أصولها من القرآن بل تبقى أصولها ثابتة في القرآن ومن اولويات هذه الأصول (الأصوات)، لان لها أصل اللغات.

والقران هو المنطلق الأساس للظاهرة الصوتية، لذلك اتخذت الدراسة الصوتية –عند العرب –(القران) أساساً لها ولتطلعاتها وآياته مضماراً لاستلهام نتائجها وهي حين تمازج بين الأصوات واللغة وتقارب بين اللغة والفكر فإنما تتجه بطبيعتها التفكيرية لرصد تلك الأبعاد مسخرة لخدمة القران العظيم[1].

لايختلف إثنان في بقاء العربية مستمدٌ من القرآن لانه حفضها فصان اللسان العربي م الزيغ والانزلاق حتى عاد اللسان متمرساً على الإبداع، ذلك الإبداع الذي يتأتى من تشكل مفردات اللغة وانضمام الأصوات بعضها الى بعض وبتأليفها يتمثل الكلام، وتناسق هذا الكلام وتآلفه من مهمة الاصوات في تناسقها وتآلفها وما تنافر الكلمات الا دليلُ على قرب مخارج تلك الأصوات او تباعدها او في طبيعة تركيبها وتماسها، او من تداخل مقاطعها وتضّامها ذلك ان اللغة اصوات، إذ ان (مصدر الصوت الإنساني في معظم الأحيان هو

الحنجرة او الوتران الصوتيان فيها، فاهتزازات هذين الوترين هي التي تنطلق من الفم او الأنف ثم تنتقل خلال الهواء الخارجي)[٢].

إن دراسة هذا البحث ستقتصر على دراسة أصوات بعض الألفاظ في القران الكريم، لان الصوت يتعلق بالمعنى، ولا سيما ان القوة التعبيرية للكلمة المفردة لا تتأتى من معناها وحدة بل من طبيعة شكلها الصوتي ايضاً[٣]

فهذه العلاقة اللسانية تقوم على ثائية الدال والمولول التي في جوهرها تطابق الصوت مع المعنى[٤].فالمعنى والصوت كلاهما مرتبط بالأخر ارتباطاً لا يقبل التفرقة[٥].

ومن ثنائية الصوت والمعنى تنطلق في بحثنا هذا ليكون احدهما معياراً للأخر، لان ظواهر اللغة ترجع إلى قسمين رئيسين: الظواهر المتعلقة بالصوت والظواهر المتعلقة بالمعنى[٦] هذا وان الألفاظ تكتسب دلالتها من جرس ألفاظها ومن هنا تنبثق العلاقة بين الكلمة ومدلولها، وهكذا فان الأصوات لاتهم بحثنا إلاّ من حيث دلالتها على المعنى ؛ فجاء في خصائص الصوت القراني ودلالاته إذ قام على مطلبين، الأول يبحث عن مدى التلاؤم الصوتي لبعض الألفاظ القرآنية والذي كانت الفواصل والتكرار ركيزةً له في تبيان تلاؤمه الصوتي؛ أما الثاني فقد بحث في الدلالات الصوتية في القرآن الكريم والذي إنطوى تحته الألفاظ الدالة على الفزع والألفاظ التي فيها استطالة وإغراق في مد الصوت وعلى الألفاظ المفردة ذات الصيغة الصوتية الواحدة وعلى الألفاظ الدالة على الأصوات، ثم تلت ذلك الخاتمة.

المطلب الأول
التلاؤم الصوتي لبعض ألفاظ القران الكريم

اهتم العرب منذ نشوء اللغة بموسيقى الألفاظ نظماً ونثراً، لان بنية اللغة البلاغية اتسمت بالتلاؤم الصوتي [٧]، لان الصوت متعلق بالمعنى ولان القوة التعبيرية للكلمة المفردة لاتتأتى من معناها وحد بل من طبيعة شكلها الصوتي ايضاً[٨]، هذه العلاقة اللسانية تقوم على ثنائية الدالة والمدلول التي هي في جوهرها تطابق الصوت مع المعنى[٩]ومن ذلك

نفهم ان المعنى والصوت كلاهما مرتبط بالأخر إرتباطاً لايقبل التفرقة[١٠] ومن تلك الثنائية –ثنائية الصوت والمعنى– إنطلق الباحثون ليكون احدهما معياراً للاخر[١١] و من هذا المبدأ سينطلق البحث في رصد البنى الصوتية ومدى تلاؤمها ودلالتها على المعنى، فدراسة المستوى الصوتي تعتمد على كينونة الصوت دالاً ومدلولاً، لابحكم المؤثرات الحسية التي تنتجها اللغة بأصواتها، فتتولد من ذلك علاقة طبيعية بين الصوت والمعنى[١٢] لان التشكيل صوتي يمثل عنصراً له خطره في رسم الصورة وإبرازها وخلق عوامل التأثر لها[١٣].

كما ان للجانب الصوتي أثره ووقعه الخاص في المتلقي، حيث أن (أمر الصوت عجيب وإنصرافه في الوجوه أعجب)[١٤]، وان التلاؤم الصوتي هو الذي يبعث الارتياح في النفس، لذلك وصف الكلام المتلائم صوتياً بالحلاوة والطلاوة والعذوبة[١٥].وهذا يذكرنا بقول الوليد بن المغيرة في وصفه للقران الكريم(والله لقد سمعت من محمد كلاماً ما هو من كلام الأنس ان لقوله لحلاوة وان أصله لغدق وإن فرعه لجناة)[١٦]، وما هذا التأثر من رجل مشرك الا نتيجة لتأثره بالتلاؤم الصوتي لألفاظ القران الكريم ن لأنه قد اثرَّ في النفوس فاستهوى الأسماع بطريقة عجيبة، حتى انه يشعر القارئ للسور القرآنية بالانسجام التام بين موضوعاته ونغمها الموسيقي[١٧].

يتجلى التلاؤم الصوتي في القران الكريم بأشياء عدة، منها فواصل الآيات وخواتيم السور، وفي تكرار الكلمات المفردة او الآيات، وكذلك في التقابل الصوتي في كثير من آياته[١٨]، ولكن البحث سيقتصر على دراسة بعض تلك الألفاظ المفردة التي كان لها جرس خاص في رسم الصورة البلاغية، وأول ما نبدأ به في توضيح ما هية التلاؤم الصوتي هو فواصل الآيات الكريمة وتكرار الكلمات المفردة لأهميتها البالغة في توجيه المعنى.

أ– <u>الفواصل</u>

عني القران الكريم بالانسجام الصوتي لما له من تأثير كبير على الأسماع ووقع مؤثر في الأنفس فقد جاءت آليات الكريمة منتهية بفواصل منسجمة مع بعضها البعض[١٩].

والفاصلة في القران الكريم هي آخر كلمة في الآية، كالقافية في الشعر وقرينه السجع في النثر، ويؤكد الدارسون أنها أخر كلمة في الاية ليعرف بعدها بدء الاية الجديدة بتمام الآية السابقة لها[٢٠].

أما مسألة التسمية فلربما أتت اقتباساً من قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾[٢١] ولايجوز تسميتها قوافي مطلقاً– وذلك بالإجماع – لان الله تعالى لما سلب عن القران صفة الشعر وجبَ سلب القافية عنه ايضاً لأنها منه[٢٢] وخير من عرف الفواصل وحددّ بعدها الدلالي هو القاضي ابو بكر الباقلاني (ت–٤٠٣هـ) بأنها ((حروف متشاكلة في المقاطع، يقع بها إفهام المعاني))[٢٣]

هذا وان مراعاة القران الكريم للانسجام الصوتي في ختام كل اية مع السياق التعبيري العام للسورة اخذ عدة صور، فهو مرة يقدم كلمة ومرة يؤخرها وربما يحذف شيئاً من الكلم او يضيف شيئاً جديداً لغرض الانسجام واحياناً يبدل كلمة بكلمة أخرى في نفس السياق، فيجعل في نهاية كل اية ما ينسجم موسيقياً مع أخواتها، أو نراه يضع كلمة في مكان وغيرها في مكانٍ أخر تجنباً للتكرار وفي كل ذلك راعى القران ما يقتضيه التعبير والمعنى ولم يفعل ذك للانسجام الموسيقي وحده فانه لو لم يكن الجانب الموسيقي مراعىً في ذلك لاقتضاه الكلام من جهة أخرى.

لكن ما يعيننا حقاً في هذا البحث، ومن اجل تمييز الفاصلة ومعرفتها صوتياً، كان لزاماً علينا تتبع فواصل الآيات بدقة متناهية وضبطها في تنقلاتها في القران عبر مسيرتها الإيقاعية.

وبما ان الأمثلة لأحصر لها ولا عدّ في القران الكريم، وجب علينا ان نخص الملامح العامة الأكثر بروزاً في تنقلات تلك الفواصل، وقد أحصاها وفصلها الدكتور(محمد حسين علي الصغير) في كتابٍ[٢٤] له سنوجز منها مايلي:

الاول:– جمع القران بين لفظتين مختلفتين في حرف الفاصلة والوزن، وهذا ما ورد في القرآن بشكلٍ مطرد بالإلف المرات، ومنها قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ

وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ۞وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[٢٥]

الثاني:– الوقوف عند حرف واحد لايتغير في الفاصلة وهو كثير، ومن امثلته(السور القصار)، كالقدر والعصر والفيل والكوثر والإخلاص والناس، وجملة من (السور الوسطى) كالأعلى والقمر، وفيها جميعاً مراعاة للمنهج الصوتي والبعد الإيقاعي، ويتميز النغم الصوتي بابهى صورة واروع حللهِ في سورة ((القمر)) اذ تختتم فيها الفاصلة بصوت الراء مردداً بين طرف اللسان وأول اللهاة مما يلي الأسنان.

لاحظ قوله تعالى﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ۞ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ۞وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ۞ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّنَ الْأَنبَاء مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾[٢٦] الى آخر السورة.

الثالث:– الوقوف عند حرف معين للفاصلة في بعض السور والانتقال منه للوقوف عند حرف اخر للفاصلة من بعضها الاخر، وامثلته في سورٍ عدة من القران، وكما احصاها د. محمد حسين علي الصغير[٢٧] مثل سورة (النبأ، المرسلات، النازعات، عبس، الانفطار، المطففين)، ولننظر معاً الى قوله تعالى في سورة ((التكوير))﴿ إِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ۞ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ۞ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ۞ وَإِذَا السَّمَاء كُشِطَتْ۞ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ۞ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ۞ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ۞ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ۞ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ۞ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ۞ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾[٢٨] إذ نلاحظ تواكب صوت التاء الطويلة في الفواصل الاولى ثم تنتقل الى صوت السين في الفواصل التالية.

ما هذا الإيقاع المجلجل!؟ وما تلك النبرات الصوتية التي حملت نسق متوازن (سئلت، قتلت، نشرت، كشطت، سعرت، أزلفت، أحضرت) تحمل اصداء صوتية متلاحقة في رنة متقاربة توحي بالرعب والخوف من حدث نازل يزيد من رهبة الموقف بالقسم الحاصل بـ(الخنسّ، الكنس، عسعس، تنفس) تلك السين المشددة التي اعطت الصورة دوياً موسيقياً مشدداً زاد الامر رهبةً ورعبا.

وما يسعنا القول هنا في مجيء هذه الايات وعلى هذه الشاكلة وفي ذلك النسق الصوتي المتجانس بصيغتها الاصلاحية الهادفةِ الا ان تضفي على الفاصلة القرانية جمالاً خاصاً وحساً ايقاعياً هادفاً دون تطلعّ مناّ الى تعبير مغاير او مماثل، فهي تمتلك النفس وتأخذ بالإحساس بل تأسره الى نظام رتيب في موسيقتيه[٢٩].

ولابد للبحث– وهو يتحدث عن الفواصل في مستواها الصوتي– ان يتطرق الى الفواصل الثنائية المقطع والفواصل الثلاثية المقطع*، والتي وردت في القران الكريم بشكلٍ واسع جداً، وسنوجز الحديث عنهما تباعاً.

أ– الفواصل الثنائية المقطع: والتي تتمثل بقوله تعالى:﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقاً۝ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطاً۝ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحاً۝ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقاً۝ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً﴾[٣٠]

الفاصلة هنا في مقطعين طويلين: الاول مغلق غر/نش/ سب/آب

والثاني متفتق قا/ حا/ما/را

هذا التشكيل المقطعي الذي تنقل بين المفتوح والمغلق تناسب تماماً مع المعنى المراد من الايات، ولا سيما وانه اريد بهذا المقطع نقل صورة حسيه لحركة عَدْ وَالخيلْ وما تكابده من معاناة لتستجمع قواها في الانطلاق السريع، وهذا ما اكدته وجسدته اصوات الفواصل من خلال خلقها الجو المناسب للحركة السريعة، وبذل أقصى طاقة لسرعتها، فـ(الراء) وهو صوت مجهور تكراري جاء بعد الغين المجهورة المفخمة، ثم اتبعت بـ(القاف) الشديدة الانفجارية المتبوعة بالاف التي تمنح المقطع الصوتي طولاً وامتداداً لبلوغ الغاية، تنطلق مع صورة مدّ اللجام للخيل لتدلّ على السرعة المتناهية لها[٣١].

فا لانتقال بالاصوات بين الجهر والانفجار يتناسب مع هدف الصورة الحسية للتعبير عن قوة الجذب والمعاناة وهذا ما أطلق عليه بـ(الدلالة الصوتية) او (رمزية الألفاظ)[٣٢].

واستمر معنا هذا الإحساس بالحركة السريعة ولم يتوقف برهة واحدة اذ نجده يتبع بأصوات الفواصل اللاحقة للفاصلة الأولى اذ يهيمن حرف(السين والشين) على الفواصل التالية لها وبخاصة المقطع الاول منها (نشر)(سب) والسين والشين من الاصوات المهموسة، وفي اجتماعها يؤديان معنى العظمة الكاملة وقوة التحرك والانطلاق، فأصوات

الفاصلة الثانية تنطلق بسهولة على اللسان، فصوت النون بين الشدة والرخاوة والجهر يتلقي بالشين المهموسة الرخوة المرققة بيسر وسهولة إنتقالاً للطاء المهموسة ايضاً، وهذه الأصوات متناسبةً في تصوير سهولة انطلاق هذه الخيل، وهي ان دلتّ على شيء فهي تدل على هيمنة الفارس عليها وقدرته الفائقة على تسييرها وقيادتها، ولزيادة تصوير هذا المشهد الحسي في عدو الخيل السريع وإبرازه في أطار تعجيزي يثير الدهشة والتعجب منه، جاء هذا العدوّ السريع على الماء وليس على اليابسة ذلك من قوله﴿ والسابحات سبحا﴾ وبهذه الحالة تصبح حركتها أصعب لأنها تحتاج الى قوة اكبر مما لو كانت تسير على الأرض المستوية، وهذا ما خلق تناسبً بين أصوات الفاصلة(سبحا) ايضاً، (فالسين) المهموسة بما فيها من صفير حين التقت بالباء المجهورة الشديدة أجبرت أللسان على التوقف متمثلاً بطباق الشفتين ثم انفراج الفم بانفجار الصوت حتى يتقل الى الصوت الاحتكاكي (الحاء) المهموس المرقق، دلالة على التدرج في التخلص والتمكن من الانطلاق، وتستمر الأصوات الذلقية تداولاً على اللسان وهي تجسد هذه الصورة الحسية بصوتي(الراء والميم) بحفتهما وسلاستهما على اللسان مما يؤكدان سهولة القيام بحركتها وكأنها لاتحتاج الى من يقودها.

وبهذا بدا لنا واضحاً جلياً ان أصوات الفاصلة جاءت مكملةً لرسم الصورة الحسية الممهدة للدخول في الحدث المركزي وهو يوم القيامة.

ب– <u>الفواصل الثلاثية المقطع</u>

لهذا النوع من الفواصل نصيب كبير في القران الكريم، وكان له النصيب الأوفر في سورة النازعات، اذ منحت السياق طاقة إيحائية كبيرة، ساهمت بفاعلية بإكمال المعنى وإيضاحه، بل جاء هذا السياق طالباً لها– للفاصلة– وملحاً على وجودها كعنصر مكملاً لها، لنتأمل قوله تعالى:﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ۝ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ۝ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ۝ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ۝ يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ۝ أَئِذَا كُنَّا عِظَاماً نَّخِرَةً۝ قَالُوا تِلْكَ إِذاً كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ۝ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾[٣٣].

تكونت كل واحدة من هذه الفواصل من ثلاثة مقاطع تماثلت جميعها في التقطيع الصوتي كما ياتي:

١. را / جِ /فة
٢. را / دِ / فة
٣. وا / جِ /فة
٤. خا / شِ /عة مقطع طويل مفتوح+ مقطع قصير+مقطع قصير مغلق
٥. حا / فِ /رة
٦. خا /سِ /رة
٧. وا / حِ /دة

نلاحظ هنا ان الفواصل الأربعة الأولى صور لها مشهد القيامة وارتجاف الارض وتزلزلها، إذ(تبدأ القيامة (بالراجفة) وهي النفخة الأولى ((تتبعها الردفة)) وهي النفخة الثانية)[٣٤]، وفصل الزمخشري الحديث قائلاً (الرجفة– الواقعة التي ترجف عندها الأرض والجبال وهي النفخة الأولى، وصفت بما يحدث بحدوثها، ((تتبعها الرادفة)) أي الواقعة التي تردف الأولى، وهي النفخة الثانية، أي القيامة التي يستعجلها الكفرة، استبعاداً لها وهي رادفة لهم لاقترابها وقيل الراجفة: الأرض والجبال، والرادفة – السماء والكواكب لانها تنشق وتنتشر كواكبها اثر ذلك)[٣٥].

وقال الطبرسي: الراجفة –يعني النفخة الأولى التي يموت فيها جميع الخلائق وهي صيحة عظيمة فيها تردد واضطراب كالرعد اذا تمخض والرادفة – هي النفخة الثانية تعقب الأولى والتي يبعث معها الخلق[٣٦] وبمتابعة هذه المعاني: النفخة الأولى، النفخة الثانية، الصيحة، التردد، الاضطراب، الواقعة التي ترحف عندها الأرض والجبال، والتي تردف الراجفة، انشقاق السماء، انتشار الكواكب، الرعد اذ تمخض، بعث الخلائق وانتشارهم...الخ بمتابعة ذلك كله يتجلى العمق الصوتي في المراد كتجليه في الألفاظ دلالة على الرجيف والوجيف، والتزلزل

والاضطراب، وتغيير الكون وتبدل العوالم من قوله تعالى:﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ للّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[٣٧]. قد (تعاقبت معالم الراجفة والرادفة مع معالم الواقعة والقارعة والآزفة، وتناسبت دلالة الأصوات مع دلالة المعاني في الصدى والأوزان)[٣٨].

والفاصلة (را/جِ/فة) قد صورت بأصواتها هذا التزلزل، فالراء صوت مكرر فضلاً عن تذبذبه بين الشدة والرخاوة والتفخيم والتدقيق والجهر، وكأن هذا هو الاهتزاز صعوداً ونزولاً، وهذا ما يصور الزلزلة، فصوت الراء وحده يمثل (الزلزلة) إذ يتكون هذا الصوت عند اندفاع الهواء فتخرج سلسلة من الضربات المتكررة التي تحدث رنيناً صوتيا[٣٩] وهذه الألف تمنح بانسيا بيتها وامتدادها قوة تكرار الراء والملاحظ على هذه الفواصل هيمنة أصوات المدّ على المقطع الاول منها المدمج بأصوات غالبيتها مجهورة (راء، نون، واو) وحتى المهموس فيها (الخاء) فهو صوت استلاء، وهذا مايشعرنا بسطوة الارتجاج المكتنز رهبةً واندهاشاً، اذ يوحي هذا المعنى بانتهاء المقطع الاول بصوت الإلف، والمقطع الثاني يمثل نقطة ارتكاز وتكثيف للحدث، اذ يتمثل بصوت (الجيم) المجهور المتقلقل، و(الدال) الانفجاري الشديد المجهور الانسدادي، وهذا المقطع يمثل ذروة الحدث الذي جسده رسم الأصوات وكان بمثابة حلقة الوصل للمقطع الثالث المنتهي بالهاء التي تشعرنا بانغماس الناس في هذه الرجفة واحتوائها لهم.

اما الفاصلين الثالثة والرابعة فقد جاءتا ملائمتين اشد الملائمة لتصوير مشهد الاستسلام والخضوع (واجفة..خاشعة) فالمقطع الاول منهما(وا، خا) أضفى مسحة الذل يجمع عليهما الخوف والانكسار، والرجفة والانهيار[٤٠]؛ وهذا ما اكده الصوت الطويل(الالف) وقد غلبت الأصوات المهموسة في تصوير مشهد الخشوع، بينما غلبت الأصوات المجهورة على مشهد الاستسلام، وبذلك تكون قد تواشجت الدلالة اللفظية مع الدلالة الصوتية لتحقيق المعنى المراد[٤١]. ولايفوتنا الحديث عن التشكيل المقطعي لهذه الفواصل والذي اسهم بشكل فعال في توضيح المعنى، اذ جاءت الفاصلة السادسة على هذه الشاكلةً: (مقطع قصير+مقطع قصير+مقطع قصير مغلق).

وذلك على خلاف المقاطع الاخرى التي تبدا بـ:(مقطع طويل مفتوح) فقد هيمن المقطع القصير على تشكلّها المقطعي، وفي هذا مناسبة دقيقة لمعنى الفاصلة(نخرة) دون(ناخرة)* وفي

هذا دلالة اوضح على شدة تفتت العظمة وصغرها حتى يكاد يصعب تخيل اعادة ترميمها وتشكيلها من جديد، وهو يناسب جو التعجب. وفي معرض حديثنا عن سورة النازعات(نذكر انها رسالة تحذيرية ترهيبه، وذلك مما يعطينا تفسيراً منطقياً ان فواصلها جاءت متناوبة بين الثنائية المقطع والثلاثية المقطع، متناسبة مع الرسالة الاجمالية للسورة، فالموقف لايتطلب وقفات صوتية مديدة ومزيدة، بل هي تحذيرات حاسمة مدّعمة بصور ذات وقع موسيقي سريع، تعمل كمنبه ذهني لعقلٍ وفكرٍ متمسك بموقفه العقائدي.

٢- التكرار

في التعبير الأدبي يعني (تناوب الألفاظ وأعادتها في سياق التعبير بحيث يشكل نغماً موسيقياً يتقصده الناظم في شعره والناثر في نثره)[٤٢]، وللتكرار في الكلام اثره الإيقاعي والمعنوي لأنه يزيد الإيضاح والتميز، وله علاوة على ذلك قيمة جمالية ذو دلالة تعبيرية لان القيم الصوتية لجرس الحروف او الكلمات للتكرار لاتفارق القيمة الفكرية او الشعورية المعبر عنها[٤٣].وله فائدة(التوكيد والإفهام)[٤٥] ايضاً، وقد أكد الجاحظ على أهمية التكرار والذي اسماه ((الترداد)) كما تعرض في حديثه عن الفائدة من (تكرار ذكر قصة موسى وهو وهارون وشعيب وإبراهيم ولوط وعاد وثمود وكذا ذكر الجنة والنار وأمور كثيرة لأنه خاطب جميع الأمم من العرب وأضاف العجم وأكثرهم عمي غافلُ او معاندٌ مشغول الفكر ساهي القلب وأما أحاديث القصص والرقة فاني لم ار أحداً يعيب ذلك)[٤٦].

تتجسد أهمية التكرار في إفهام المعنى فضلاً عمّا يثيره الجانب الصوتي- نتيجة لتكرار الحروف والكلمات والآيات- في الأذهان من ادراك معنى الكلام ومغزاه. ولما كانت المعاني أوسع مدىً من الألفاظ لذا احتيج إلى التكرار لاستيفاء تلك المعاني[٤٧]. مثل ذلك قوله تعالى في سورة (القارعة): ﴿ الْقَارِعَةُ۝مَا الْقَارِعَةُ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾[٤٨]، والقارعة: القيامة، والقارعة: الشدة، سميت قارعة لأنها تقرع قلوب العباد بالمخافة الى ان يصير المؤمنون الى الأمر[٤٩] وهي ايضاً اسم من أسماء القيامة لأنها تقرع القلوب بالفزع أعداء الله بالعذاب[٥٠].

ما هذا الوقع المدوي في الإسماع ؟ وما تلك الصورة التي رسمتها حروف الجهر من يوم القيامة، اذ أعطى صورة القرع واللطم على حين غفلة، والمشهد المعروض هنا مشهد يدركه الذهن في تجسيد حسي، يبدي الناس في ظله صلاح على كثرتهم، إتسق الظل الذي يلقيه اللفظ والجرس الذي تشترك فيه حروفه كلها، مع منظر الناس ذلك الحين.

لو سلطنا الضوء على حروف اللفظة وهي ((القاف)) و((العين)) وهما من الحروف الطلق، بل من أطلق الحروف وأنصعها واضخمها جرساً، فالقاف من الحروف اللهوية والعين من الحروف الناصعة الحلقية وفق تقسيم الخليل لها[٥١].

بلا شك ونحن نسمع ذلك الجرس العالي الذي يقرع بشدة هذا الكافر المعاند، نشعر بالرهبة، لاسيما وان الصوت بذات الجرس الضخم يتكرر ثلاث مرات متواليات. وكان بالامكان ان تكون (القارعة ماهي؟) ولكنها عند ذلك ستفقد هذا الايقاع الذي رسم تلك الصورة والتي تناوبت بين الشدة والرهبة والتهويل ليوم القيامة، والحروف التي تناوبت اصواتها ما بين الشدة والجهر والانفتاح والاستفالة والاصمات والتي ركزت على استثارة الاحساس بالخوف من خلال ذلك الايقاع السماعي.لنتابع معاً تناوب الجهر والشدة مع الجهر والرخاوة[٥٢] بطريقة متزنة متناسقة ومتساوقة:

القـــارعـــة

شدة	جهر	جهر	جهر	همس	همس
جهر	رخاوة	شدة	رخاوة	رخاوة	رخاوة
استفالة	استفالة	استعلاء	استفالة	استفالة	انفتاح
انفتاح	انفتاح	انفتاح	انفتاح	انفتاح	أصمات
اصمات	اذلاق	اصمات	اذلاف	اصمات	ة
أ	انحراف	قلقلة	انحراف	ع	
	ل	ق	تكرار		
			ر		

فالإلف ⟵ جهر شدة، واللام ⟵ جهر رخاوة، والقاف ⟵ جهر شدة والراء ⟵ جهر رخاوة، ثم العين ⟵ همس رخاوة، ثم الهاء ⟵ همس رخاوة.

هذا التساوق بين أصوات الحروف يؤكد أن كل صوت يحمل علامة استفهامية عن ذلك المشهد المرتقب، استفهام مصاحب بهول الموقف، وخوف شديد يناسب شدة الحروف وجهرها، ثم الانفتاح الذي اتصف به كل صوت على حدة، الا يوحي باستمرار الموقف وانفتاحه الى زمن غير محدد، وعلمه –غيباً– عند الله تعالى فقط!!.

ثم الاصمات الذي تناوب وانتهى به صوت الكلمة الا يوحي بالسكون بعد قيام الساعة (القارعة) حيث قامت، وانتهى الحساب، وانتهى الأمر... فعمَّ الصمت والسكون.

هناك توازن صوتي بين تراكيبها، فيها جرس مجّسد للمعنى، فتكرار الفزع الشديد يوحيه لنا حرف (القاف والإلف)[٥٣] فيهما من الشدة ما يتناسب والهول الواقع، اما (الراء) الذي أعطى إيحاء التردد والتكرار والتتابع–من خلال نطقة –بان ما سيحصل في الأرض عن زلزال متتابع يوم تقوم الساعة بصورة مفاجئة متكررة متتابعة. اما الفاصلة بتناغمها وتناسقها تقرع قرعاً شديداً بما فيها من مدّ وارتفاع وتردد في المقطع الصوتي(رعة).

ولايفوت البحث– ونحن نتحدث عن موضوع التكرار الصوتي– ان يستوضح جانب مهم وهو((التكرار الصوتي المفيد))[٥٤] والمتمثل بفنيّ (التجنيس)* و(التكرار) معاً على أساس ان اللفظة الثانية ما هي الا تكرار صوتي لكل او بعض أصوات الكلمة[٥٥] والتكرار فيه هنا يدل على معنى واحد، والذي (يجوزة ان هذا المقام هو مقام اعتذارٍ وتنصّل عما رقى ربه من تلك القارعة العظيمة التي هي نفاق وكفر، فكرر المعنى في اعتذاره قصداً للتأكيد والتقرير لما ينفي عنه ما رمى به)[٥٦].

ومما جاء من (التجنيس الاشتقاقي) أي يشتق من نفس جنس اللفظة –قوله تعالى﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقاً ۞ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطاً ۞ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحاً ۞ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقاً ﴾ [النازعات][٥٧] ومعنى (الناشطات نشطا) هو السهولة واليسر في انطلاق الخيل[٥٨].

ولكن، من تكرار اللفظة أضفى على المعنى دلالة ألا فلآت من العقال، وفي هذا زيادة في تصوير سرعة الانطلاق، وهذا مانجدة في السابحات سبحا، فالسابقات سبقا، حيث ان تكرار الأصوات الانفجارية الشديدة متقلقلة فضلاً عن الرخوة الصفيرية تمنح اللفظ نبرات صوتية عالية ومتدفقة تنسجم وحركة الخيل وهي تتسارع في سبقها.

أما الموازنات الصوتية الناتجة عن(التكرار الصوتي) في فواصل الآيات والتي أسهمت بشكلٍ فاعل في تجسيد الصورة والمشهد الحسي– نراها مثلاً في قوله تعالى:﴿ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ۝وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾[٥٩] [النازعات]: ٣٠ فمع اتفاق كلمتي (ضحاها)و(دحاها) في بنائهما المقطعي(هـ/–َ/–َ) فأنهما قد تماثلتا في الأصوات(الحاء، ألاف، الهاء، الإلف) آذ تخلق هذه الموازنة الصوتية ايقاعاً طويلاً وهادئاً وقوياً في الوقت ذاته، معلناً عن النعم التي أنعمها الله جلَّ وعلا على الإنسان.

وللإيقاع دور بارز في رسم الصورة المجسمة فضلاً عن توازنها المقطعي، لاحظ الموسيقية في قوله تعالى﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ۝ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾.

(يـو/مَ/تـر/جـِ/فـل/را/جـِ/فـة/ تـت/بـَ/عـُ/هـل/را/دِ/فـة)

(___/ ه /___/ ه /___/___/ ه /___/___/ ه / ه /___/___/___/ ه /___)

وهو يتوازن موسيقياً والمقطع الذي بعده﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ۝ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ﴾ (–/–/هـ/–/هـ/هـ/–/–/هـ/–/–/–/هـ/–/–/هـ/–) فالإيقاع سريع وبموجات متدفقة، ومتسارعة، وترداد كان ليس له نهاية، هذه الإيقاعات المستمرة على الأذن(راجفة/رادفه، واجفة/خاشعة) تشيع جواً مكهرباً تتسارع له نبضات الأفئدة. فضلاً عن المقاطع الممدودة في الفاصلة التي رسمت بإيقاعها صورة الاندهاش التي تأخذ حاضر هذا المشهد.

المطلب الثاني
مظاهر الدلالات الصوتية في القران الكريم

عني القران الكريم عناية بالغة في اذكاء حرارة الكلمة، وتوهج العبارة لتحقيق موسيقى اللفظ داخل الجمل، وتناغم الحروف في التراكيب، وتعادل الوحدات الصوتية في المقاطع، فكانت مخارج كلماته متوازنة النبرات وتراكيبه متلائمة الاصوات، اذ جاءت كل لفظة بمكانها المناسب لها بحيث لايمكن ان تستبدل بغيرها، وكل لفظ متناسباً مع صورته الذهنية من وجه، ومع دلالته السمعية من وجهٍ آخر ؛ اذ ينبه ويؤكد القران الكريم على إثارة الانفعال عند الانسان المبني على الألفاظ المختارة في مواقفها فيما تشيعه من تأثير نفسي معين سلباً وايجاباً[٦٠].

وقد استوعب القران الكريم جميع مظاهر الدلالة وفي أوسع مجالاتها وعبر عنها بمختلف الصور الناطقة، وقد يكون من الصعب جداً في بحثنا هذا ان نقف على جميع الصيغ في استعمالات القران للدلالة الصوتية، لان ذلك يحتاج الى جهود عظيمة، وبحوث ودراسات طويلة، ذلك لتشعب المادة الصوتية وتعدد جوانبها ومجالاتها، وعظمة انطلاقها، ولكن نحاول جاهدين ايراد بعض النماذج النابضة ليقاس عليها، وشبيهها بها، وبذلك يتأتى للباحث والمتلقي من فهم ابعاد دلالة القران الصوتية ؛وهذا ما سنقف عنده مستوضحين بعض النماذج منه من خلال المباحث التالية:

انت تعلم ان كل كلمة من القران الكريم لها استقلالية خاصة تمنحها اياها حروفها المعينة مما تكسبها صوتياً خاصية سمعية منفردة تختلف عما سواها من الكلمات التي تؤدي المعنى نفسه، تلك الاستقلالية الصوتية التي نتحدث عنها تكون(اما في الصدى المؤثر وإما في البعد الصوتي الخاص، وأما بتكثيف المعنى بزيادة المبنى واما بإقبال العاطفة وإما بزيادة التوقيع فهي حيناً تصك السمع، وحيناً تهيء النفس، وحيناً تضفي صيغة التأثر: فزعاً من شيء، او توجهاً لشيء، او طعماً في شيء، وهكذا..)[٦١].

من هنا ننطلق بالحديث عن الدلالات الصوتية التي تحققها الالفاظ منفردةً حيناً ومجتمعةً مع مثيلاتها من الكلمات حيناً آخر، وسنوجز الحديث عنها تباعاً.

١- الألفاظ الدالّة على الفزع

لايختلف إثنان في ان القران الكريم استعمل اللفظ بدقة متناهية اذ اختار الصوت المناسب للفظ المناسب وفي المكان المناسب، لتدل تلك الالفاظ على ذاتها بذاتها وتستوحي دلالتها من جنس صياغتها، فالالفاظ الدالة على الفزع مثلاً، والشدة والخصام، والعنف، والاشتباك، تحتاج بالضرورة الى اصوات مدوّية هادرة تعطي دلالة الفزع الهائل في نفس المتلقي فترسم اصوات تلك الحروف صورة كاملة عن الحدث[٦٢].

تستوقفنا مادة(صَرَخَ) في القران، والصرخة: الصيحة الشديدة، عند الفزع، والصراخ: الصوت الشديد[٦٣]، ذلك من قوله تعالى:﴿ هُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً﴾ [٦٤] [فاطر:٣٧] لنقف عند اصوات تلك الحروف.

يـــــصـــــطـــــرخـــــون

جهر	همس	جهر	جهر	همس	جهر	جهر
رخاوة	رخاوة	شدة	رخاوة	رخاوة	رخاوة	رخاوة
إصمات	استعلاء	استعلاء	انفتاح	استعلاء	استفالة	استفالة
	انطباق	انطباق	اذلاق	انفتاح	أصمات	اذلاق
	اصمات	اصمات	انحراف	اصمات		
	صفير	قلقلة	تكرار			
ي	ص	ط	ر	خ	و	ن

ها نحن اولاء يطرق اسماعنا صوت غليظ محشرج مختلط الاصداء، انه صوت المنبوذين في جهنم، الايخيل اليك وانت تسمع اللفظة بجرسها الغليظ، غلظ الصراخ المختلط المتجاوب من كل مكان، المنبعث من حناجر مكتظة بالأصوات الخشنة، كما تلقى اليك ظل الاهمال لهذا الصراخ، الذي بلغ ذروته وتجاوز مداه واصطدم بعضه ببعض، ولا اذن صاغية ولا نجدةُ متوقعة، اذ وصل اليأس أقصاه، والقنوط منتهاه، تلك الصورة جاءتنا من تراصف إيقاع صوت(الصراخ) في شدة إطباقه، ذلك من توالي(الصاد والطاء) والآخر(الراء والخاء) والترنم بـ(الواو والنون) الذي أعطى رنة هذا الاصطراخ المدوي[٦٥] ؛والطبرسي يضع يديه على كل تلك المعاني، قائلاً: (والاصطراخ، الصياح والنداء والاستغاثة: ((افتعال)) من الصراخ، قلبت التاء طاء لاجل الصاد الساكنة قبلها، وانما نفعل ذلك لتعديل الحروف بحرف وسط بين حرفين يوافق الصاد في الاستعلاء والاطباق، ويوافق التاء في المخرج)[٦٦] بمعنى اوضح ان صيغة (اصطرخ) افتعل، اصلها ((اصترخ))* وقد اجمع في هذه الكلمة صوتان مهوسان غير ان احدهما مطبق(الصاد) والاخر(التاء) فقلبت التاء الى نظيرها المطبق وهو (الطاء) التي ننطلق بها الان، فالصوت الاول أثر في الثاني فحدث مماثلة تامة بين الصوتين.

والاستصراخ الاغاثة، واستصرخ الانسان اذا اتاه الصارخ، وهو الصوت يعلمه بامر حادث ليستعين به[٦٧] وهنا طلب النجد، بفزع والاستعانة على الامر اشبه بمعجزة، ذلك لانها نتيجة من خوف نازل وفزع متواصل وتشبث بالخلاص. شدة الحدث الذي هم فيه او بسببه يصطرخون اوحته اصوات الحروف بما غلبت عليها من جهر وشدة واستعلاء يدلل على شدة

الخوف وازدحام الناس والتصاقهم ببعضهم، ولكن هذه الاصوات المتعالية مختلفة لايستطيع السامع تمييز بعضها عن بعض لكثرتها وغلبة الرعب عليها، هي اصوات متنافرة كتنافر الحروف التي ائتلفت منها اللفظة. فالتاء في (اصتراخ): افتعال زائدة متحركة، فاذا وقعت بعد صاد قبلت الى طاء، ليكون بعد الصاد ما هو مثلها في الأطباق والاستعلاء فيعمل اللسان عملاً واحداً من الحرفين، وما اختيار الطاء بدلاً من التاء الاّ لانها من مخرج التاء، فكانت اولى بالبدل منها.

... لماذا حرف(الطاء) بالذات! الا يوحي بالاصطدام والارتطام، الذي ينطبق تماماً على صورة اصطدام الأصوات وارتطام الناس بعضها ببعض بشدة وبعنف وبخوف.

وما قوله تعالى في الآية(يصطرخ)بدلاً من(يصرخ) الاّ لان الأولى أقوى واعنف وادلّ على التعبير عن الحدث في التصادم والارتطام، و(فيها) جاءت لتشديد ولتوكيد الحدث دون فصلٍ او تراخي، اذ لم يقل ((وهم فيها يصطرخون)) كي لايتوهم السامع بتراخي الحدث فتنفصم عراه.

(الطاء/الصاد/ الخاء) اجتمعت هذه الحروف التي فيها استعلاء واطباق لتوحي بتعالي الاصوات باستمرارية وزيادة، واطباق الخوف والرعب والرهبة على الناس وصوت (الراء) بما فيه من تكرار وارتجاج وتذبذب في الحركة يوحي بتكرار الحدث و(الواو) يكرر نفس الحدث بنفس الشدة. نلمح من وراء ذلك كله صورة العذاب الغليظ الذي هم فيه يصطرخون.

ان الحروف المتنافرة الأصوات، البعيدة المخارج، ضرورية في السياق لأنها بجرسها وأصواتها التي تألفت منها، تعطي من الدلالات والإيحاءات ما لايغني عنه غيرها. والأمثلة على ما نقول كثيرة جداً منها على سبيل المثال لا الحصر((متشاكسون)) من قوله تعالى:﴿ رَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاء مُتَشَاكِسُونَ﴾ (٦٨). والتي تعبر عن(المخاصمة والعناد والجدل في اخذ وردّ لايستقران، وقد جمعت في هذه الكلمة حروف التفشي والصفير في (الشين والسين) تعاقباً تتخللهما الكاف من وسط الحلق، والواو والنون للمدّ والترنم، فاعطت هذه الحروف مجتمعة نغماً موسيقياً خاصاً حملهاً اكثر من معنى الخصومة والجدل والنقاش بما اكسبها ازيزاً في الاذان يبلغ السامع ان الخصام ذو خصوصية بلغت درجة الفورة والعنف والفزع، كما احيط السمع بجرس مهموس يؤثر في الحس والوجدان)(٦٩).

٢- مدّ الصوت وإشباعه

قليلة هي المقاطع الصوتية المغرقة في الطول والمدّ والتشديد، بل هي نادرة، وعلى الرغم من ندرة هذه المركبات الصوتية في اللغة العربية، الاّ أننا نجد القران الكريم يستعمل أفخمها لفظاً وأعظمها وقعاً، فتستوحي من دلالتها الصوتية مدى شدتها، لنستشف مدى أحقيتها بالرصد والتفكير والتحليل(٧٠).

وأول ما يستحضرنا من تلك الألفاظ(الصَّاخة، الطامة، الحاقّة) إذ أننا حينما نسمع هذا الصوت المدوي الذي يوجه الفكر إلى تساؤل منتهٍ، ويبعث في النفس تفاعلاً معه لترقب الأحداث او المفاجئات المجهولة. تلك الكلمات التي تحتاج الى ضغط صوتي، واداء جهوري لسماع رنتها، مما يتوافق نسبياً مع ارادتها في جلجلة الصوت وشدة الايقاع(٧١). اما اذا القينا الضوء الكاشف على المعنى الحقيقي والمحدد لهذه الالفاظ في كتاب الله العزيز، لوجدناها جميعاً تقصد(يوم القيامة) سنخرج ساعتئذٍ بحقيقة ان شدة الصوت مطابقة لشدة الدلالة. لتعطي بعداً اكبر للفظة من خلال تفحصها كي نصل الى دلالة الصوت ومدى تقارب الصوت من المعنى؛ نقف عند (الصاخّة) –كأنموذجا– من قوله تعالى﴿ َإِذَا جَاءتِ الصَّاخَّةُ﴾(٧٢).

الـــصـــاخـــة				
جهر	جهر	جهر	همس	همس
شدة	شدة	شدة	رخاوة	رخاوة
استفالة	استفالة	استعلاء	استعلاء	انفتاح
انفتاح	انفتاح	اطباق	انفتاح	اصمات
اصمات	اذلاق	اصمات	اصمات	
	انحراف	قلقلة		

هي لفظة ثلاثية المقطع، تتكون من:

أصْ	صاخْ	خَة

مقطع متوسط مغلق	مقطع طويل مغلق	مقطع متوسط مغلق

إن صوتية المقطع الثاني(في ثنايا اللفظة) طويل مغلق يتكون من صامت فحركتين فصامت–(على وفق التصوير السائد) –مخترقاً النظرية الصوتية القائلة ان المقطع الصوتي الطويل يفضل ظهوره في نهاية كلام مموسق يسكتُ في آخره، ترتبط هذه الكناية بالعلاقة السياقية مع الصورة الحركية التالية لها في المشهد[٧٣]، اذ إكتسبت لفظة (الصاخة) دلالة صوتية جديدة تشكل ما يعرف(بالمحاكاة الصوتية)[٧٤].

اما (الصاخة) في اللغة فلها معاني عدة، هي (صيحة تصخ الاذان فتصمها، ويقال هي الامر العظيم، وقال ابو اسحق: هي الصحية التي تكون فيها القيامة، تصخ الاسماع التي تصبها فلا تسمع الا ما تدعى به الاحياء)[٧٥].وجاء في تفسير الطبري: (وقوله:﴿ إِذَا جَاءتِ الصَّاخَّةُ﴾ ذكر انها اسم من اسماء القيامة واحسبها ماخوذة من قولهم صاخ فلان لصوت فلان فهو مصيخ له)[٧٦]، وجاء في تفسير الكشاف(يقال:صخ لحديثة مثل اصاخ له فوصفت النفخة بالصاخة مجازاً، لان الناس يصخون لها)[٧٧]، اما (الطريحي) فهو يقول عن الصاخة لتشديد الخاء يعني القيامة ((فإنها تصخّ الاسماء)) أي تقرعها وتصمها ويقال: رجلٌ اصخ، اذا كان لايسمع[٧٨]. المعاني كلها متقاربة في الدلالة فيكون استعمالها حينئذٍ في القيامة مجازاً، لكن وايهم البحث من ذلك الاستعراض الدلالي ان نخرج الى شيء مفاده، مدى مطابقة الصوت للدلالة، وإسهام الجرس والإيقاع في رسم صورة يوم القيامة.

و(الصاخة) لفظ ذو (جرسٍ عنيف نافذ يكاد يخرق صماخ الأذن، وهو يشق الهواء شقاً، حتى يصل الى الإذن صاخاً، ملحاً)[٧٩] فهو يمهد بهذا الجرس المدوي ذات الانفجار الهائل – للمشهد الذي يليه اذ تتبعه حالة ذعر تؤدي إلى الفرار من اقرب الناس: ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ۝ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ۝وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾[٨٠][عبث:٣٤] اولئك الذين تربطهم به روابط لاتنفصم، ولكن هذه (الصاخة) شرخت الروابط شرخاً من هول الحدث. وهنا صورة جديدة اعطانا فيها كناية تدل على الجبن والخوف والهوان، وهو ارذل مايصل اليه المرء[٨١] ولاشك في ان هذه التداعيات تتضمن كنايات عن شدة ذلك اليوم الموعود وهو ماسيلاقيه الكافر[٨٢].

اما لو تامل القارئ الحروف التي ائتلفت منها اللفظة لوجد غلبة الجهر والشدة والاستعلاء والانفتاح والاصمات حيناً، والهمس والرخاوة حيناً اخر، فـ(الصاد) صوت مطبق شديد، ثم يتلوه الالف الممتد الذي يوحي بامتداد المشهد العنيف ليوم القيادة، بما يرافقه، و(الالف) بما فيها من استفالة وانفتاح وامتداد وجهر شديد اعطى ايحاءاً باستمرارية المشهد، ثم تتلوه(الخاء) المشددة بذلك النبر الشديد الذي اسهم باستعلاء المشهد وانفتاحه بالزمن– قيام الساعة – ثم الاصمات؛ كل تلك الأصوات تساوقت مع بعض لافادة التهويل والتعظيم والتخويف والترهيب من ذلك اليوم العظيم. وبذلك تكون قد طابقت أصوات الحروف للمعنى لغةً ودلالةً، فجرس الحروف العنيف والنبر الشديد رسم صورة في الذهن عبرّ عن ذلك المشهد الموعود. ومثل (الصاخة) كمثل (الطامة) و(الحاقة) إذ أن (موافقة أصوات الطامة والحاقة والصاخة لمعانيها في الدلالة على يوم القيامة، من أعظم الدلالات الصوتية في الشدة والوقع والتلاؤم البنيوي والمعنوي لمثل هذه الصيغة الحافلة)[٨٣٩].

٣–الألفاظ المفردة ذات الصيغة الصوتية المفردة

تستوقفنا ظاهرة جديدة أخرى في القران العظيم جديرة بالبحث والدراسة ايضاً، تكمن في تسمية الأمر بأسماء متعددة ذات صيغة واحدة بنسق صوتي متجانس ليدل بمقاطعة على مضمونة، وبموسيقاه على معناه، ومن ذلك تسمية ((القيامة)بأسماء متقاربة الصدى في إطار الفاعل المتمكن والقائم الذي لايجحد[٨٤]. وهذا مايسمى في علم البلاغة بـ(الكناية) ففيها عدولاً عن التصريح، يحاكي الأسلوب القرآني في مشاهد القيامة(فقد وصف الله تعالى ما سيحدث يوم القيامة بما يقربه من اذهاننا لا بالحقيقة، لان الحقيقة لانستطيع ان ندركها)[٨٥]. وقد تعددت كنايات يوم القيامة التي بفضلها(يتقرب ذلك اليوم الى العقول والقلوب)[٨٦]، ويشير (شكري محمد عياد) الى ان اسماء اليوم الاخر في القران جمعت معاً في (المفاجاة المروعة،) (الساعة والواقعة والقارعة والصاخة والغاشية) (والانقياد والخضوع) (القيامة) و (الجزاء العادل)(الدين والحساب) و(الحكم الفاصل)(الفصل والحاقة)، وكلّ المعاني الكبرى التي فصلتها اوصاف اليوم الاخر)[٨٧]، وفضلاً عن هذه التسميات وردت تسميات آخرى ليوم

القيامة مثل: (الآزفة)[٨٨] و(الراجفة والرادفة) و(الطامة الكبرى)[٨٩] و(يوم التناد)[٩٠]و(يوم الحسرة)[٩١].

ان (استعمال هذه الاسماء يناسب ما في طبيعة اللغة العربية من التوسع في تسمية الشيء الواحد باسماء متعددة، واخذ الاسماء من الصفات، كتسميتهم السيف بالحسام والمهند والمشرفي، وتسميتهم الاسد بالهراس والحطار والباسل والاصيد، وهذه الاسماء التي تحمل معاني الصفات هي اشد الكلمات اثارة للوجدان والخيال معاً)[٩٢]. لناتي الى هذي الصيغة الصوتية الفريدة التي هزتنا من الاعماق والتي بعثت بصوتها القوي يقيناً الى يوم لامهرب منه، فهو واقع بفرع بقوارعه، وحادث يثيرك برواجفه، بهذا الصدى الصوتي والوزن المتراص والسكت على هائه اوتائه القصيرة تعبير عما ورائه من شؤونٍ وعوالمٍ وعظات وعبرٍ ومتغيرات، مما يعطي المعنى المناسب للصوت المناسب[٩٣].

(فالواقعة)مثلاً من قوله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ۝ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ [٩٠]وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾[٩٤]، لو تتبعنا اقول اهل اللغة عن معنى الواقعة لوجدنا: وقع الشيء يقع وقوعاً، أي:هوياً، والواقعة: النازلة الشديدة من صروف الدهر[٩٥] والواقعة: هي الداهية، وهي اسم من اسماء يوم القيامة[٩٦] ويقول الطبرسي في تفسيره للواقعة انها (اسم القيامة كالازفة وغيرها، والمعنى اذا حدثت الحادثة وهي الصيحة عند النفخة الاخيرة، لقيام الساعة، وقيل سميت بها لكثرة ما يقع فيها من الشدة او لشدة وقعها)[٩٧] لوعدنا مستقرئين ما قاله اللغويون عن معنى(الواقعة) وقارنا بعضها ببعض لتجلت لنا الدلالة الصوتية من ان الوقوع هو الهوي، وسقوط الشيء من الاعلى، وذلك يتطابق مع دلالة اللفظة في انها(النازلة الشديدة والداهية والحادثة والصيحة وكلها تقود وتدلل على انها اسم من اسماء يوم القيامة، وصوت اللفظ يوحي بمعنى الشدة والعذاب، واطلاقه بزنة الفاعل، واسناده بصيغة الماضي، يدلان على وقوعه في شدته وهدته وصيحته وداهيته)[٩٨].

عة	ق	وا	ال
مقطع متوسط مغلق	مقطع قصير مفتوح	مقطع متوسط مفتوح	مقطع متوسط مغلق

وكذلك الحالة بالنسبة الـ (الآزفة) فقد وردت في القران الكريم مرتين الاولى في قوله تعالى:﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾(٩٩)، والثانية قوله تعالى: ﴿أَزِفَتْ الْآزِفَةُ۝ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾(١٠٠)، وقد (سميت بذلك لازوفها أي لقربها، ويجوز ان يرد بيوم الازفة وقت الحظة الازفة وهي مشارفتهم دخول النار، فعند ذلك ترتفع قلوبهم عن مقارهاً، فتلصق بحناجرهم)(١٠١)، مشهد الرعب الذي رسمته لنا الدلالة الصوتية للفظة يوحي بارتفاع القلوب والتهاقها بالحناجر كناية عن شدة الخوف من ((الازفة)) التي تشير الى ان الموعد قد حان، وما يشد الانتباه ان التعبير عنها جاء بصيغة الماضي إيحاءاً لقرب حصولها اذ وردت هذه الكناية في (سياق انذار وتحذير من العذاب والهلاك الذي حلّ بالاقوام الغابرة: قوم نوح وعادٍ وثمود ولوط)(١٠٢) وهناك ايحاءات اخرى للصوت متمثلاً في قوله تعالى:﴿ أَزِفَتْ الْآزِفَةُ﴾ فيها تصعيد للمعنى من خلال المدّ الظاهر المستند الى المقطع الثاني (المتوسط المفتوح) وتاليه الذي تمثله (الزاي المجهورة)وهو مقطع قصير(١٠٣).

فة	زِ	آ	ال
مقطع متوسط مغلق	مقطع قصير مفتوح	مقطع متوسط مفتوح	مقطع متوسط مغلق

وبهذا البناء المقطعي الذي تفاعل مع التشكيل الصوتي، اكدّ الصورة التحذيرية من ذلك اليوم المرتقب.

وترى ذلك متجسدٌ ايضاً في (الغاشية) التي وردت مرتين في القران الكريم، احدهما جاءت بمعنى (النائبة) وتعني عقوبة الدنيا، وهي ليست (كناية) من قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾[١٠٤] والثانية: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾[١٠٥] وان تصفحنا كتب اللغة لوجدنا ان معناها: (الداهية من خير او شرّ او مكروه، ومنه قيل للقيامة الغاشية)[١٠٦] وهي في صورتها الكنائية (كل مايغظي الشيء ويسره)[١٠٧] وقال الراغب عنها انها كناية عن القيامة وجمعها غواش[١٠٨].

وقال الزمخشري: (الغاشية) الداهية التي تغشى الناس بشدائدها وتلبسهم اهوالها، يعني القيامة[١٠٩].

ارتبطت هذه اللفظة– والتي سميت بها السورة– مع النسق الداخلي للسورة، فهذه الهيمنة التي اعطتها دلالة اللفظ، أفادت من الاستفهام الذي خرج الى معنى التعجب في معرض التذكير والتهويل[١١٠] وهناك التفاتة مهمة لاحد الباحثين*، ان لفظة (الغاشية) اخف من الفاظ (القارعة) و(الطامة) و(الحاقة) و(الواقعة)، ثم اشار الى ان دلالة (الغاشية) مستمدة من اصواتها وبخاصة صوت (الشين) الذي يفيد معنى الانتشار والتفشي، وكان الداهية قد تفشت وانتشرت وهزت الكون باهوالها[١١١].

ويتكون تركيبها المقطعي من اربعة مقاطع هي:

ال	غـا	شِ	ية
مقطع متوسط مغلق	مقطع متوسط مفتوح	مقطع قصير مفتوح	مقطع متوسط مغلق

يبدو ان لفظة (الغاشية) أدت رسالتها التصويرية بـ(الإفزاع)فكان السياق كله يتجه لإسناد تلك الصورة، أما مسالة عدول القران عن التصريح بلفظ (القيامة)، وذلك (لإثبات شاهدها ودليلها، وفي ذلك تعظيم لها في القلوب والنفوس، فالكناية دالة على انها تغشى الناس بعذابها وتلبسهم أهوالها)[١١٢]، وهذا المناخ المفزع والأفق الرهيب اقرب ما يكون الى مناخ (الواقعة والقارعة

والآزفة والرجفة والرادفة والصاخّة والحاقة والطامة.. انه منطلقٌ واحد(١١٣)، فكلها الفاظ مفردة ذات صيغة صوتية واحدة حققت نمو دلالي بسبب التركيب النحوي والجرس الصوتي ذي الايحاء المكتسب من طبيعتها المقطعية، ترسم صورة التهويل والتخويف والوعيد وبذلك اليوم الذي لامناص منه. الا يلفت الانتباه، بل يسلب العقول ذلك الصوت الحافل الذي تتساقط حوله المصاعب وتتفرق فيه الألفاظ لتدل في كل الأحوال على هذه الحقائق القادمة، حقيقة يوم القيامة برحتها الطويلة في الشدائد والنوازل والقوارع والوقائع لتصور لنا عن كثب هيجانها وغليانها وشمولها وأحاطتها(١١٤).

٤–دلالة الألفاظ على الأصوات

للقران الكريم اثرٌ في النفوس واستهوى الاسماع بطريقة لايمكن ان يصل اليها أي كلامٍ آخر منظوم او منثور(١١٥) ؛ حتى انه يشعر القارئ للسور القرانية بالمناسبة التامة والانسجام الواضح بين موضوعاته ونغمها الموسيقي(١١٦) ؛ وهو بذلك يخاطب الروح بتأليفة الصوتي في التراكيب، والتناسب بين اجراس الحروف والملاءمة بين طبيعة المعنى وطبيعة الصوت الذي يؤديه(١١٧)، وبذلك بلغ التعبير القرآني مستوىً فريداً في رسم الصورة وخلق عوامل التاثير لها.

من هذا المنطلق نستطيع ان نقف عند طائفة من الالفاظ الدقيقة (تميزت دقتها بكون اللفظ يدل على نفس الصوت، او الصوت يتجلى فيه ذات اللفظ، بحيث يستخرج الصوت من الكلمة، وتؤخذ الكلمة منه، وهذا من باب مصاقبة الالفاظ للمعاني بما يشكل اصواتها، فتكون اصوات الحروف على سمت الاحداث التي يراد التعبير عنها)(١١٨). وسيقف البحث عند بعض من هذا الالفاظ:

١– مادة (خرَّ) تلك اللفظة التي وردت في القران الكريم اكثر من مرة، ذلك من قوله تعالى:

- ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ﴾ الحج: ٣١
- ﴿ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ النحل: ٢٦
- ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ﴾ سبأ: ١٤
- ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ﴾ ص: ٢٤

ولفظة (خرَّ) تدل بمعناها اللغوي على السقوط والهوي من علو، ذلك السقوط والهوي مصحوبان بصوتٍ ما، وهو ليس صوت الخرير كما يقال من ان (الخريرٌ: هو صوت الماء وصوت الريح) وقد ياتي صوتهما معاً اذا توهم سرعة الخريرٌ في القصب فيحمل على الخرخرة[١١٩].وما يؤكد ما نذهب اليه ان الحدث ماخوذ من جنس الصوت، ولم يرد من (خرَّ) مجرد معنى السقوط، وانما اراد الصوت مضافاً اليه الوقوع، أي حدثت هنا اضافة دلالية صوتية [١٢٠].

وردت في القران مادة(صرَّ) ومادة (صَرْصَر) فالاولى كقوله تعالى :﴿ مَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾[١٢١] والثانية كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾[١٢٢] و﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾[١٢٢].جاءت لفظة(الصر) بمعنى البرد اذا قيل (الصَرْصَر) نعت للريح من البرد، ويقال ذات صوت، والصر: (البرد وريح صَرْصَر: شديدة البرد قيل وشدية الصوت)[١٢٣]. ولم يختلف كثيراً معنى (صرصراً) عند المفسرين عن معناها اللغوي، اذ جاء في تفسير الصغاني (صرصراً) قال: باردة[١٢٤] وجاء في تفسير الطبري:صرصراً، أي شديدة السموم عليهم، وقد رحج الطبري قول مجاهد الذي قال في (صرصراً): ((انما صوت الريح اذا هبتْ بشدة))[١٢٥]. وقال الزمخشري: ((الصَرْصَر: التي تصرّصّراً، أي تصوت في هبوبها، وقيل الباردة التي تحرق بشدة بردها))[١٢٦].

وفي كل موضع وردت فيه من القران الكريم كانت تصطك الأسنان أثناء نطقها، ويتردد اللسان فيها، فالصاد وقعها الصارخ، والراء المضعفة والتكرار للمادة في صرصر، كل هذه الأمور أضفت صيغة الشدة، وجسدت صورة الرهبة، وذلك مايهد كيان الإنسان، اذا أراد ملجاً فلا يجده او حمايةٍ فلا يؤمنها[١٢٧] ؛ ولكننا نضع أيدينا على (الحس الصوتي في اللغة، فيعطينا دلالة خاصة، مواكبة لسياق الحدث في هذا الصوت، فريحٌ صرٌ وصرصرٌ شديدة البرودة، وقيل:شديدة الصوت، وصرٌ وصرصرٌ، صوت الصرير)[١٢٨].

٣- مادة (أزَّ) من قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزّاً﴾ [١٢٩]، جاءت (الأز) بمعنى الضم والتهييج والإغراء وغير ذلك، اذ جاءت في معاجم اللغة: ازّي، ضم

بعضه الى بعض، وازت القدر تؤز وتئز أزا وأزيزاً وأزازاً وائتزت ائتزازا إذا إشتد غليانها و(الازّ) الاختلاط، والتهيج، والاغراء، وازه مثل هذه وقيل الحركة الشديدة[١٣٠].

لم يختلف كلام المفسرين عماّ أدلاه اهل اللغة، اذ قال الطبري في تفسيره: (تؤزهم: تحركهم بالاغواء والاضلال فتزعحبهم الى معاصي الله وتغريهم بها حتى يواقعوها ازا ازعاجاً واغواء، فعن ابن عباس في قوله (ازا) يقول تغريهم اغراء ومثله عن الضحاك وقتادة: تزعجهم ازعاجاً في معصية الله كما قيل ايضاً (أزاً) تشليهم اشلاء على معاصي الله تبارك وتعالى وتغريهم عليها)[١٣٠].

ما يشدّ الانتباه البلاغة العالية في الذكر الحكيم حتى على ادق التفاصيل، فمثلاً حرفي(الهمزة) و(الهاء) في:تأزهم ازا، كلاهما من الحلق، وقد قالت العرب، أز الشيء وهزّة، والمعنى الذي يؤديه (الازّ) أعظم في النفوس من (الهز) لان الاخير قد يتناول ما لا الاقيمة له كالجذع وساق الشجرة ؛ ذلك نجده في قوله تعالى:﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً﴾[١٣٢] أما لماذا قال ((هزّي) ولم يقلْ (أُزيّ) ؟ فجواب ذلك، ان الهزّ للاشياء الملموسة المادية مثل (الساق، الجذع) بينما (الأزّ) شيءُ له اثر اعظم في النفوس، وبما انها في حالة مخاض ليس لديها القدرة على (الأز) لانه يتطلب قوة شديدة ودفع اعنف، بينما أخف (الهز) وطأة واقل جهداً عليها وهي ضعيفة منهمكة القوى، ليس عليها الاّ ان تدفع برفقٍ لتتسير ولادتها ويتساقط عليها الثمر الجنيّ لتأكل وتتقوى[١٣٣].

ان تناوب الجهر والشدة في الحروف التي احتوتها لفظة (أزا) أعطت تعظيم للمشهد، أما تلك (الزاي) المشددة لما فيها من جهر وصفير وقوة أعطت تطابقية وتماثل مابين صوت الحرف والمعنى المراد، أما مسالة تكرار هذه الزاي في (تأزّهم ازّا) افادت التوكيد والتهويل الصوتي لمعنى المشهد وأعطتها دوي شديد الوقوع لما فيها من جهر وشدة وصفير، أعطت قوة للفعل ومبالغة وتهويل.

والامثلة على هذا الجانب – الالفاظ الدالة على الأصوات – لاحصر لها ولاعد*، لكننا اكتفينا بايراد نماذج محدودة منها، لان ذلك يحتاج الى مجال افسح ودراسات اطول، تفتح الباب للباحث في هذا المجال ان يتنبه لامور جمةّ، تدفع به الى الاعتبار والعظة، وتزيد من البصيرة

والتدبر، وسيدرك حينها ما اضفته وتضفيه تلك الموسيقى الخاصة على القول من مزية معينة، فعاد بصوته وموسيقاه، من جملة الاسرار الجمالية، فكان التاكيد على التناغم الايقاعي من ابرز الملامح الفنية التي كان القران العظيم معيناً ثراً لها.

الهوامش

١- راجع –الصوت اللغوي في القران، د. محمد حسين علي الصغير، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م: ٧٣-٨٧.

٢- الأصوات اللغوية، ابراهيم انيس، ط٤، القاهرة، ١٩٧١م:٨

٣- ينظر – الافكار والاسلوب:٤٥.

٤- ينظر –اثر اللسانيات في النقد العربي الحديث، :١٢٤.

٥- ينظر – قواعد النقد الادبي، :٣٩.

٦- ينظر – علم اللغة، علي عبد الواحد الوافي، :٢٦٠.

٧- ينظر – النقد الجمالي واثره في النقد العربي، :١٣٣.

٨- ينظر –الافكار والاسلوب، : ٤٥.

٩- ينظر – اثر اللسانيات في النقد العربي الحديث، :١٢٤.

١٠- ينظر – قواعد النقد الادبي، : ٣٩.

١١- ينظر – الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية، :٣٨.

١٢- ينظر – الأسلوبية الصوتية في النظرية والتطبيق، :٧١.

١٣- ينظر – التعبير البياني رؤية بلاغية نقدية، :١٤٣.

١٤- كتاب الحيوان: ١٩١/٤.

١٥- ينظر –الموازت الصوتية في الرؤية البلاغية، :٤٤.

١٦- السيرة النبوية لابن هشام: ١/٢٨٢، نقلاً عن البلاغة والمعنى في النص القرآني:١٧٨.

١٧- ينظر –دراسة ادبية لنصوص من القران، :٤٠.

١٨- ينظر – البلاغية والمعنى في النص القراني ((تفسير ابي السعود انموذجاً))، :١٧٩.

١٩- ينظر – التعبيري القراني:٢١٧.

٢٠- ينظر – الصوت اللغوي في القران:١٤٣.

٢١- سورة هود:١.

٢٢- ينظر – الصوت اللغوي في القران:١٤٣.

٢٣- البرهان في علوم القران – الزركشي: ١/ ٥٤.

٢٤- التعبير القرآني:٢١٧.

٢٥- ينظر – الصوت اللغوي في القران:١٤٨- ١٥٢.

٢٦- سورة الأنفال:٢٧-٢٨.

٢٧- راجع – الصوت اللغوي في القران، :١٥٠.

٢٨- سورة التكوير: ٨-١٨.

٢٩- ينظر – الصوت اللغوي في القران :١٥٢.

*- ينظر –بحث (تحولات البنية في الخطاب القرآني) خولة عبد الحميد عودة، كلية التربية، بغداد، ٢٠٠١م: ٨-١٦.

٣٠ – سورة النازعات:١-٥.

٣١- ينظر- التفسير البياني للقران الكريم، د. عائشة عبد الرحمن، دار المعارف، مصر، ١٩٦٢: ١١٠.

٣٢- ينظر- الجرس والإيقاع في القران الكريم، د. كاصد ياسر الزيدي، مجلة آداب الرافدين، جامعة الموصل، سنة١٩٧٨م، ع ٩: ٣٣٧.

٣٣- سورة النازعات: ٦-١٣.

٣٤- معاني القران، الفراء، القاهرة، ط١، ١٩٥٥: ٣/٢٣١.

٣٥- الكاشف: ٤/٢١٢.

٣٦- مجمع البيان في تفسير القران:٥/ ٤٣٠.

٣٧- سورة ابراهيم:٤٨.

٣٨- الصوت اللغوي في القران: ١٧٥.

٣٩- ينظر – علم الاصوات العام، بسام بركة، مركز الانماء القومي، بيروت – لبنان، د.ت:١٢٨.

٤٠- ينظر – في ظلال القران، سيد قطب، دار احياء التراث العربي ط٧، بيروت –لبنان، ١٩٧١م: ٣/٢٥.

٤١- ينظر – الجرس والايقاع في القران الكريم، د. حامد ياسر الزيدي، مجلة اداب الرافدين، جامعة الموصل ١٩٧٨، ع٩: ٣٥١.

٤٢- جرس الالفاظ:٢٣٩.

٤٣- ينظر – البلاغة والمعنى، :١٨١.

٤٤- تأويل مشكل القران:٢٣٥، وينظر– كتاب الصناعتين:٢١٢.

٤٥- البيان والتبين:١/١٠٥.

٤٦- البلاغة والمعنى:١٨٨.

٤٧- ينظر – مجمع البيان، الطبرسي: ٥/ ٣٤٢.

٤٨- ينظر – المصدر نفسه: ٥/ ٥٣٢.

٤٩- كتاب العين، للفراهيدي: ١/٤٧- ٥٨.

٥٠- راجع – الصوت اللغوي في القران:٤٤، وما بعدها.

٥١- راجع– المصدر نفسه: ٢٢، وما بعدها.

٥٢– راجع – المثل السائر:٢/ ١٥٢.

*– (سمي هذا النوع من الكلام مجانساً لان حروف الفاظه يكون تركيبها من جنسٍ واحد.

٥٣– المصدر السابق نفسه: ١/ ٢٣٩.

٥٤– راجع – تحرير التحبير في صنعة الشعر والنثر وبيان اعجاز القران:٣٧٥.

٥٥– المثل السائر:٢/ ١٥٣.

٥٦– سورة النازعات:٢–٤.

٥٧– ينظر – الكشاف: ٣٧/٤، والدليل انه (اقسم بخيل الغزاة التي تنزع في اعنتها نزعاً تغرق فيه الاعنةُ لطول اعناقها، لانها عراب، والتي تخرج من دار السلام الى دار الحرب من قولك: ثورٌ ناشط، اذا خرج من بلدٍ الى بلدٍ، والتي تسبح في جريها فتسبق الى الغاية)، المصدر نفسه.

٥٨– ينظر – الصوت اللغوي في القران:١٦٣.

٥٩– راجع – المصدر نفسه:١٦٥، وما بعدها.

٦٠– المصدر نفسه : ١٦٤.

٦١– ينظر– المصدر نفسه: ١٦٥.

٦٢– لسان العرب: ٢/٤ مادة (صرخ).

٦٣– سورة فاطر: ٣٧.

٦٤– ينظر – الصوت اللغوي في القران:١٦٦.

٦٥– مجمع البيان في تفسير القران –الطبرسي: ٤/ ٤١٠.

٦٦– راجع – الكشاف: ٦٣٧/٣.

٦٧– لسان العرب:٣/٤.

٦٨– سورة الزمر:٢٩.

٦٧– الصوت اللغوي في القران الكريم:١٦٧.

٦٩- المصدر نفسه.

٧٠- ينظر – المصدر نفسه:١٦٩.

٧١- سور عبس:٣٣.

٧٢- ينظر – التطوير المجازي: ٩٤-٩٥.

٧٣- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: ٣٤.

٧٤-كتاب العين: حرف الصاد، مادة (صخ) والقاموس المحيط، باب الخاء فصل الصاد.

٧٥- جامع البيان عن تأويل أي القران: ٣٠-٦١.

٧٦- الكشاف: ١/ ١١٨.

٧٧- ينظر- مجمع البحرين، الطريبجي:٤٣٧/٢.

٧٨- مشاهد القيامة في القران: ٦٢.

٧٩- ينظر- الصوت اللغوي في القران:١٧٠.

٨٠- ينظر – التصوير المجازي – انماطه دلالاته:٩٥.

٨١- الصوت اللغوي في القران:١٧٠.

٨٢- ينظر – المصدر نفسه:١٧١.

٨٣- اهوال القيامة (محمد متولي الشعراوي) مطبعة جامعة الموصل، ١٩٨٨م: ٢٥.

٨٤- الكناية في القران الكريم (اطروحة دكتوراه) احمد فتحي رمضان، اداب، موصل، ١٩٩٥: ٢٩٠.

٨٥- يوم الدين والحساب، شكري محمد عيَّاد، دار الوحدة، بيروت، ط١، ١٩٨٠م:٤٢.

٨٦- سورة غافر: ١٨، سورة النجم: ٥٧.

٨٧- سورة النازعات:، ٣٤.

٨٨- سورة غافر:٤٠.

٨٩- سورة مريم: ٣٩.

٩٠- يوم الدين والحساب: ٤١.

٩١- ينظر – الصوت اللغوي في القران: ١٧١.

٩٢- سورة الواقعة: ٦-٧.

٩٣-سورة الحاقة: ١٥.

٩٤-كتاب العين، مادة (وقع).

٩٥- لسان العرب: مادة (وقَعَ).

٩٦- مجمع البيان: ٥/ ٢١٤.

٩٧- الصوت اللغوي في القران: ١٧٢.

٩٨- سورة غافر: ١٨.

٩٩- سورة النجم: ٥٧- ٥٨.

١٠٠- راجع – الكشاف: ٤/ ٧٨.

١٠١-الكناية في القران الكريم (اطروحة دكتوراه): ٢٨٧.

١٠٢- ينظر – التصوير المجازي – أنماطه ودلالاته: ٨٨.

١٠٣- سورة يوسف: ١٠٧.

١٠٤- سورة الغاشية: ١.

١٠٥- علم البيان، د. عبد العزيز عتيق، بيروت، ١٩٨٥: ٢٢٥.

١٠٦- التصوير المجازي: ٩١.

١٠٧- المفردات، الراغب: ٣٦١.

١٠٨- الكشاف: ٤/٢٤٦.

١٠٩- ينظر- التصوير المجازي: ٩٢.

(*)- هو عبد الواحد زيادة اسكندر في (رسالة الماجستير) الموسومة، الايقاع انماطه ودلالاته في لغة القران الكريم، دراسة اسلوبية دلالية: ١٤٣- ١٤٤.

١١٠- راجع- للتوسيع، التصوير المجازي:٩٣.

١١١- الكناية في القران الكريم:٢٨٥.

١١٢- راجع- للتوسع – التصوير المجازي – أنماطه ودلالاته: ٨٣- ٩٩.

١١٣- ينظر- الصوت اللغوي في القران: ١٧٦.

١١٤- ينظر – مناهل العرفان في أعجاز القران: .٣٠٩

١١٥- ينظر – دراسة أدبية لنصوص من القران: ٤٠.

١١٦- ينظر – أعجاز القران والبلاغية النبوية: ٤٥.

١١٧- الصوت اللغوي في القران: ١٨٥.

١١٨- ينظر- كتاب العين: مادة (خر).

١١٩- ينظر – الصوت اللغوي في القران:١٨٦.

١٢٠- سورة آل عمران:١١٧.

١٢١- سورة الحاقة: ٦.

١٢١- سورة القمر:١٩.

١٢٣- كتاب العين: حرف الصاد، مادة (صر)، اللسان: مادة (صرصر)، القاموس المحيط: باب الراء (فصل الصاد)

١٢٤- تفسير القران للصغاني: ١٨٤/٣، الدر المنثور: ٧/ ٣١٧.

١٢٥- جامع البيان عن تأويل آي القران – للطبري:١٠٣/٢٣، معاني القرآن الكريم، النحاس: ٦/ ٢٥٤.

١٢٦- الكشاف:٩٧٦، مفاتيح الغيب: ٥٥٣/٩، الجامع لأحكام القران:٣٤٧/١٥.

١٢٧- ينظر – الصوت اللغوي في القران: ١٨٧.

١٢٨– المصدر نفسه: ١٨٧.

١٢٩– سورة يوسف:٨٣.

١٣٠– كتاب العين: حرف الإلف، اللسان:مادة (ازز)، القاموس المحيط: باب الزاي، فصل الهمزة.

١٣١– جامع البيان عن تأويل آي القران: ١٦/ ١٢٥، الكشاف: ١/ ٦٤٧، مفاتيح الغيب: ٥٦٥/٧، تفسير ابن عربي: ٢/ ١٥، الجامع لأحكام القران: ١٠٠/١١.

١٣٢– سورة مريم:٢٥.

١٣٣– للتوسع راجع– الكشاف: ١٠١/٣، تفسير القران العظيم – ابن كثير: ١٦٠/٣.

(*)– للتوسع راجع– الألفاظ نادرة الاستعمال: ٥٩، وما بعدها.

قائمة المصادر والمراجع

١– القران الكريم.

٢– الأصوات اللغوية:إبراهيم انيس، مطبعة الانجلو المصرية، ط٤، القاهرة، ١٩٧١م.

٣– الأفكار والأسلوب.أ.ف تشتشرين– ترجمة حياة شرارة– دار الشؤون الثقافية العامة (د.ت).

٤– البرهان في علوم القران: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي(ت٧٩٤هـ) تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٧م.

٥– البلاغة والمعنى في النص ألقراني (تفسير ابي السعود إنموذجً) د. حامد عبد الهادي حسين، مطبعة ديوان الوقف السني، ١٤٢٨هـ٢٠٠٧م.

٦– البيان والتبيين، ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح عبد السلام هارون مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، مطبعة المدني، ط٥، ١٤٠٥هـ– ١٩٨٥م.

٧- التصوير المجازي ((أنماط ودلالاته في مشاهد القيامة في القران: د.اياد عبد الودود عثمان الحمداني، سلسلة رسائل جامعية ندار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١، ٢٠٠٤م.

٨- التعبير البياني (رؤية بلاغية نقدية): د. شفيع السيد دار الفكر العربي شركة دار الصفا للطباعة، القاهرة، ط٢(مزيدة ومنقحة)١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

٩- التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي، دار عمار، الاردن ط٥، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

١٠- التعبير البياني للقران الكريم، د.عائشة عبد الرحمن، دار المعارف، مصر، ١٩٦٢م.

١١- اثر اللسانيات في النقد العربي الحديث:توفيق الزيدي، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٤م.

١٢- الجامع لاحكام القران: محمد بن احمد بن ابي بكر بن فرج القرطبي(ت٦٧١هـ) دار الشعب، القاهرة، ط٢، ١٣٧٤هـ.

١٣- الجرس والايقاع في القران الكريم، د.كاصد ياسر الزيدي مجلة آداب الرافدين، جامعة الموصل، ط٢، لسنة ١٩٧٨م.

١٤- الدر المنثور في لتفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي(ت٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م.

١٥- الصوت اللغوي في القران الكريم، د. محمد حسين علي الصغير، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

١٦- القاموس المحيط، للشيخ مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

١٧- الكاشف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوده التاؤيل:ابي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ) شرح وضبطه وراجعه يوسف الحمادي، مكتبة مصر، دار مصر للطباعة، د.ت.

١٨- المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر، لابن الاثير، تحقيق:محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده، ١٣٥٨هـ١٩٣٩م.

١٩- المفردات في غريب القران، الراغب الاصبهاني (ت٥٠٢هـ) تحقيق: محمد سيد كيلاني، مطبعة مصطفى البابي، القاهرة، ١٩٦١م.

٢٠- النقد الجمالي واثره في النقد الادبي: روز غريب، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٢ م.

٢١- انوار التنزيل وسرار التاويل- القاضي ناصر الدين ابو سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت٧٩١هـ) دار الكتب العلمية بيروت ط١، ١٤٠٨هـ، – ١٩٨٨م.

٢٢- اهوال القيامة، محمد متولي الشعراوي، مديرية دار الكتب، مطبعة جامعة الموصل، ١٩٨٨م.

٢٣- تأويل مشكل القران لابن قتيبة، تحقيق:سيد احمد صقر، ط٢، دار التراث، ١٩٧٣م.

٢٤- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان اعجاز القران، ابن ابي الاصبع المصري، تحقيق حفني محمد شرف، القاهرة، ١٣٦٣هـ١٩٦٣م.

٢٥- تفسير ابن عربي محي الدين علي بن محمد بن احمد بن عبدالله الطائي الحاتمي المعروف بابن عربي(ت-٦٣٨هـ) اعداد سمير مصطفى، دار احياء التراث العربي، بيروت- لبنان ط، ٢، ١٤٢١هـ٢٠٠١م.

٢٦- تفسير القران للصغاني(ت٢١١هـ)، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.

٢٧- جامع البيان عن تاويل أي القران، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري (ت٣١٠هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٢٨- جرس الالفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، د. ماهر مهدي هلال، دار الرشيد للنشر، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠م.

٢٩- دراسة ادبية لنصوص من القران، محمد مبارك، دار الفكر، بيروت، ١٣٨٣هـ ١٩٦٤م.

٣٠- الصوت اللغوي في القران الكريم، د. محمد حسين علي الصغير، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٠ هـ- ٢٠٠٠م.

٣١- علم الاصوات العام، بسام بركة، مركز الانماء القومي بيروت، لبنان، (د.ت)

٣٢- علم البيان، د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٣٣- علم اللغة، د. علي عبد الواحد الوافي، ط٥، القاهرة، ١٩٦٢م.

٣٤- في ظلال القران، سيد قطب، دار احياء التراث العربي، ط٧، بيروت، لبنان ١٩٧١م.

٣٥- كتاب الحيوان، ابو عثمان بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الكتاب العربية، بيروت، ط٣، ١٣٨٨هـ-١٩٦٩م.

٣٦- كتاب الصناعتين، ابو الهلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري(ت٣٩٥هـ) تحقيق:علي البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم، دار الكتاب الحديث، دار الفكر العربي، الكويت، ط٢، ١٩٧١م.

٣٧- كتاب العين: الخليل بن احمد الفراهيدي(ت١٧٥هـ)، تحقيق:د. مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠م.

٣٨- لسان العرب، لابن منظور، معجم لغوي علمي(طبعة جديدة محققة)، ط١، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٠م.

٣٩- مجمع البحرين ، فخر الدين بن محمد علي بن احمد النجفي (ت١٠٨٥هـ)تحقيق: احمد الحسني، مطبعة الاداب ، النجف الاشراف، ١٩٦١م.

٤٠- مجمع البيان في تفسير القران، الفضل ابن الحسن ابو علي الطبرسي (ت٥٤٨هـ) مطبعة العرفان، صيدا، ١٣٣٣هـ.

٤١- مشاهد القيامة في القران، سيد قطب، دار الكتاب الاسلامي، قم- ايران، (د.ت).

٤٢- معاني القران، ابو زكريا بن زياد الكوفي(ت٢٠٧هـ)، تحقيق: احمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، مطبعة دار الكتب المصرية، ط١، القاهرة، ١٩٥٥هـ.

٤٣- معاني القران، ابو جعفر النحاس(ت٣٣٨هـ) جامعة ام القرى، مكة المكرمة، ط٩، ١١٤٠هـ

٤٤- معجم الفاظ ادرة الاستعمال في لغتنا المعاصرة (دراسة لغوية تفسيرية)تاليف، د.نشأت صلاح الدين حسن، د.حامد عبد الهادي حسين، مطبعة ديوان الوقف السني، ط١، ١٤٢٧هـ.٢٠٠٦م.

٤٥- معجم المصطلحات العربية في اللغة والاداب، مجدي وهبة، كامل المهندس، مكتبة لبنان، ط٢، (مزيد ومنفحة) بيروت، ١٩٨٤م.

٤٦- مناهل العرفان في اعجاز القرن، محمد عبد العظيم الزرقاني، دا اا‌لفكر، بيروت–لبنان، (د.ت).

٤٧- يوم الدين والحساب، شكري محمد عيَّاد، دار الوحدة، بيروت، ط١، ١٩٨٠م.

المجلات والدوريات

١-الأسلوبية الصوتية بين النظرية والتطبيق- د. ماهر مهدي هلال، مجلة آفاق عربية، العد الثاني عشر، السنة السابعة عشرة، جمادي الاخرة- رجب ١٤١٣هـ كانون الاول.

الاطاريح والرسائل الجامعية

١- الإيقاع انماطه ودلالاته في لغة القران الكريم (رسالة ماجستير) دراسة أسلوبية دلالية:عبدالواحد زيارة اسكندر، كلية الاداب، جامعة البصرة، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

٢- الكناية في القران الكريم (أطروحة دكتوراه):احمد فتحي رمضان، كلية الاداب، جامعة الموصل، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.